الأهرام

المصدر : اكتوبر

التاريخ : ١ مايو ١٩٨٨

القضية العاجلة والأهم :

هل من حق مجموعة من الشباب فرض رأيها ووصايتها على المجتمع بالقوة ؟

صلاح منتصر

ما الذى يجب أن نناقشه ابتداء بالنسبة لما حدث من بعض طلبة جامعة أسيوط عندما منعوا بالقوة حفلا تمثيليا أو موسيقيا كانت تعد له إحدى الكليات ؟

أيهما الأخطر والأولى أن نبدأ به الحوار ونسلط عليه الأضواء ؟.. أن نناقش وضع الموسيقى والتمثيل وكل الفنون من الدين ، وهل تعتبر حراما ومنكرا ؟ أو نبدأ أولا بحق بعض الشباب فى فرض وصايته على المجتمع ، واعتباره قيما على مراقبة سلوكه وتصرفاته ، وتقويمه بالقوة والعنف كل الخارجين الذين يمارسون ما يعتقد هذا البعض من الشباب أنه منكر يخالف الدين والإسلام ؟ .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ذلك أننى لاحظت ان كثيرا من الذين كتبوا عن قضية ما جرى من بعض طلبة أسيوط أعطوا اهتمامهم الأول لمناقشة موقع الغناء والتمثيل والموسيقى من الدين ، متناسين أنهم بهذا الحوار الذى يسلطون الضوء عليه ، يعطون لهذا البعض من الشباب رخصة الاستمرار فى ممارسة ما بدأ به ، وهو تغيير المنكر بيده ، وإصلاح المجتمع بالعنف ، ونشر راية ما يرونه متفقا مع افكارهم بالقوة .

القضية ليست أن هذا حرام أو حلال ، أو أن ذلك مختلف على اعتباره منكرا أو لا ، لأننا إذا أعطينا اهتمامنا لهذا الجانب فإننا نكون بقصد أو سوء نية أو جهل قد وضعنا سلامة المجتمع كله وأمنه فى قبضة الخطر المريع الذى يهدده بالانقسامات والفتن .

فالربا أمر لا يقره الدين ، وإذا كنا ننكر على بعض الشباب أنه منع إقامة حفل غنائى مشكوك فى أمر اعتباره منكرا أو حلالا ، فلماذا - والربا لا خلاف عليه - لا يقوم هذا الشباب الذى نصب نفسه وليا على مراقبة تصرفات المجتمع ، بالتصدى لكل الذين يتعاملون مع البنوك التجارية ، باعتبار أن هذه البنوك فى رأيهم تتعامل بالربا ، وكل من يتعاملون معها يرتكبون إحدى الكبائر التى يجب التصدى لها بالقوة ؟! .

ثم إن الاستغلال أيضا جريمة ضد تعاليم الدين ، فلماذا لا يقوم هؤلاء الأوصياء الجدد بمراقبة حركة السوق وتأديب كل تاجر يبيع بأكثر من التسعيرة باعتباره مستغلا بل سارقا لقوت الشعب يجب قطع يده ؟! .

والخمر حرام حرام ، فلماذا - والأمر كذلك - لا ينشر هذا البعض من الشباب أفرادهم .. ويضعون حدا بالقوة لاستمرار هذا المنكر ؟!

وغير ذلك عدد آخر من صور الحياة اليومية .. فى الشوارع ، وفى الفنادق ، وعلى الشواطئ ، وربما فى مواقع العمل .. صور قد تمثل فى رأى البعض تصرفات ضد الدين ، ومنكرا تجب مقاومته ، فلماذا لا يقوم هذا البعض من الشباب الممتلئ حماسة وغيرة .. بإصلاح المجتمع وتغيير كل هذا المنكر بالقوة ؟!

فهل هذا ما نريده فى مصر ؟

أن ينتهى بنا الأمر إلى « ميليشيا دينية » تعطى نفسها سلطة محاسبة أفراد المجتمع بميزان أفكارهم التى يتصورونها متفقة مع تعاليم الدين ، فيضربون الخارج على هذه الأفكار باسم تغيير المنكر ، ويفرضون سلطتهم إعلاء لما يرونه من تعاليم ، ويُلقى إلى عقولهم من أفكار ؟ .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

إنها قضية من أخطر ما يكون .. أن يصبح طلاب العلم هم جهاز أمن المجتمع ، وهم سلطة التشريع التى تحلل وتحرم ما تراه لهذا المجتمع ، وهم القوة التنفيذية لضبط إيقاع المجتمع مع ما يصدرونه من قوانين ويلقى إليهم وفى روعهم من فكر ..

هذه القضية هى الأجدر بالحوار قبل أى قضية أخرى .. المهم الآن ليس هل الغناء حرام أو حلال ، وإنما القضية الأولى هى حق بعض الطلبة الذين مازالوا يدرسون العلم ويسعون لنيل شهادة التعليم ، فى فرض وصايتهم وحلالهم وحرامهم وما يتم تغذيتهم به أفكار على كل المجتمع الذى يضم - من بين من يضم - مئات الآلاف من الذين انتهوا من مراحل التعليم ، وحصلوا على الشهادات التى مازال هؤلاء الطلبة يتعلمون ويسعون ويستذكرون من أجل الحصول عليها !

وليس المطلوب أن نستعدى أجهزة الدولة ضد هذا البعض من الشباب ، لأن مقاومة الفكر بالعنف يزيد صاحب الأفكار ، مهما كان انحرافها وخطؤها ، إصرارا على التمسك بأفكاره ، ويؤدى إلى ظهور طبقة أوسع متعاطفة بطبيعة مشاعرنا الطيبة ، مع هذا الشباب ضد الدولة وأجهزتها الرسمية ..

فما بالنا ونحن نعرف أن البيت المصرى فى هذه الظروف التى نمر بها يواجه أياما صعبة مريرة بسبب ظاهرة الغلاء الرهيبة التى تمسك بخناق كل رب بيت مسئول ، وتجعله أشبه بقنبلة قابلة للانفجار فى وجه الدولة التى يراها فى تفكيره ومعتقداته مسئولة بصورة ما عن الغلاء الذى يعانيه ، أو فى أقل الصور لا يستشعر منها الجدية المطلوبة فى مشاركته معركته العاتية التى يخوضها ضد غول الغلاء الكاسر !!.

ظروف المجتمع النفسية - وأقولها بصراحة - لا تتحمل مواجهة بعض التجاوزات بالعنف والقوة والاستفزاز ، وهو ما يجعلنى أحيى بقوة وصدق هذا الدور العظيم والجهد الكبير المخلص الذى يقوم به الدكتور محمد محجوب وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى مصر ، وكل العلماء الأفاضل الذين يشاركونهما هذه الجولات الواسعة التى يقومون فيها بمسح كل مصر ، والالتقاء بشبابها فى كل محافظة وكل مجال ، ومواجهة أفكارهم وأسئلتهم بالحوار الواضح البسيط المستند إلى أهم أسانيد الدين : القرآن والسنة .

□□□

وربما كان أهم ما أوضحته هذه الجولات أن عدد الذين يقودون الفكر الذى نصفه بالتطرف هو أقل كثيرا جدا من كل التصورات التى تحاول اعطاءه حجما أكبر من حقيقته .. لكن قوة هذه القيادات جاءت نتيجة طبيعية لما أصاب الأزهر من غزوة تعرض لها بعد الثورة باسم الإصلاح والتطوير ، وأدخلت على هذا الأزهر كليات جديدة يوجد مثلها عشرات الكليات فى الجامعات الأخرى ،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

مما كان من نتيجته ضعف الحصادين معا : ضعف حصاد الكليات الجديدة التى أضيفت ، وضعف ثمار الكليات القديمة التقليدية التى كانت تخرج الدعاة الأتقياء ، بعد أن قل الإقبال عليها ، وبدت كما لو أنها أصبحت صورة كالحة من صور الماضى ، مثل منظر الطربوش الذى لم يعد له مكان فى مجتمع اليوم .

وكان من نتيجة ذلك بالطبع ضعف العطاء الذى يمد به الازهر الشريف منابر المساجد والجوامع ، فخلت الساحة لكل من يجد فى نفسه القدرة على مخاطبة المصلين من فوق هذه المنابر ، معتمدا على أنه ليس من عادة المصلين مناقشة الخطيب فيما يقول أو تحويل المساجد الى ساحات للجدل .

ومع ظهور الأمراء فى الجامعات ، وغياب العلماء من المساجد والاجتماعات ، كان من الطبيعي ان يجد الأمراء فرصتهم ، ويصل بهم الأمر الى حد انكار دور علماء الأزهر ، بل عدم الصلاة وراءهم واعتبارهم سلطة من سلطات الدولة لاتنطق حقا !

ثم كانت مفاجأة هذا الشباب الصغير عندما سمع من الوزير والمفتى كلاما جديدا مؤيدا بالحجج لم يسبق ان سمعوه من قبل .

وربما كان أوضح دليل على ذلك ماقاله احد الطلبة لوزير الأوقاف فى الفيوم بعد أن سمع ماقاله الوزير والمفتي فى مختلف القضايا التى يثور حولها الخلاف : ان ماتقولونه لم أسمعه من قبل . وأنا أدهش لماذا لاتقولون مثله للذين نسمع منهم عكس ماتقولون ؟

قال الوزير : ومن يقول لكم عكس مانقول ؟

قال الطالب بشجاعة : الشيخ عمر عبد الرحمن .

قال الدكتور محمد محجوب : وأنا أعلن أمامك وأمام كل زملائك أننى على استعداد للجلوس مع الشيخ عمر عبد الرحمن فى الزمان الذى يحدده والمكان الذى يختاره وأمام من يرى ، وأواجهه رأيا برأى ، وليس لى سلاح غير كتاب الله وسنته ..

وكان غريبا عندما سمع الشيخ عمر عبد الرحمن بما حدث .. أن يرد على ذلك باستعداده لحضور هذا الحوار شرط أن يترك كل من الوزير والمفتى منصبه الرسمى .. وهو رد يعبر عن ضعف بالغ ، لأن أى شخص لايستمد احكام الدين وتعاليمه وأسانيده من منصب يحتله أو كرسى يجلس عليه وانما من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدران متاحان لكل فرد ولا علاقة لهما بمنصب أو وظيفة .

□ □ □

وليس هناك خطر من أن يعبر أى تفكير عن اتجاهاته بالكلمة مادمنا قد ارتضينا الديمقراطية .. لكن الذى يجب أن نحافظ عليه لسلامة المجتمع والديمقراطية هو أن الكلمة تقابلها الكلمة ، والفكر يواجهه الفكر ، والرأى أمامه الرأى .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية